

(غرفة في نُزل فقير، شاعر شاب
منحن على مائدته، منهمك في
الكتابة، شعره مشعث على
ناحيتين، في يده قلم، وأمامه
أوراق مضطربة التنظيم، كتب
مكومة على المائدة في غير انتظام،
على المائدة أيضا شمعة قد أشعلت
حديثا، سرير حديدي، فراش
السريير غير مرتب، ذلك لأن
الفراش بقي كما هو عند قيام
الشاعر من النوم. وعلى المائدة
الصغيرة الملاصقة للسريير، كوب
ماء آسن وساعة منبه.. ودولاب
صغير قديم على جانب منه درج
مفتوح. ويتدلى من هذا الدرج
المفتوح قميص قديم مهمل، وعلى
الدولاب الصغير مرآة قديمة
باهتة، مثبت على إطارها بطاقات
بريدية قديمة. وفي وسط الغرفة
مدفأة تعمل بالكيروسين. على
فتحة المدفأة سناج أحده لسان
خفيف من اللهب. وعلى الجدار
صورة تمثل امرأة نصرانية
يونانية، هي صاحبة النُزل،
التقطت هذه الصورة لها أيام
شبابها. واضح من النافذتين
الصغيرتين المقوستين أن موقع
الحجرة فوق السطح).

ذو الوشاح الأسود

يدور المفتاح في القفل)

الشاعر: من أنت؟

الصوت: لا داعي للخوف. ارفع الشمعة ودقق

النظر في وجهي!

الشاعر: إنني لا أرى شيئا سوى وشاحك

الأسود. ولكن ما هذا؟ أقلنسوة تلك التي فوق

رأسك؟ وجهك غير واضح البتة. أين وجهك؟

الصوت: (قهقهة) إن وجهي هناك حيث تكون

روحك.

الشاعر: قل لي، من أنت، وماذا تريد؟ هيا

أفصح بسرعة!

(صوت دقات الساعة، وكذلك صوت خمس

طرقات متتالية على الباب)

الشاعر: من؟

الصوت: أيها الشاعر، افتح الباب!.. هانذا قد

جئت!

الشاعر: من أنت؟!

الصوت: أنا الرجل الذي تنتظره!

الشاعر: أنا لا أنتظر أحدا!

الصوت: خذ الشمعة وتعال! افتح الباب

وانظر إلى وجهي!

(وقع أقدام متجهة نحو الباب مباشرة -

للكاتب التركي / نجيب فاضل *

ترجمة / د. ماجدة مخلوف

الصوت: ائذن لي أولاً أن أدخل الغرفة. ومن ثم أحدثك عن كل شيء عني.
الشاعر: لا يمكن أن أدعك تدخل إلا إذا عرفت من تكون.

الصوت: يدك ترتعش أيها الشاعر! إنك بذلك تُسقط شمعك من شمعدانها. فكر في الظلمة بقلبها الأسود! سواد لون القطران!
الشاعر: قلت لك من أنت!

الصوت: وماذا ستفعل إذا عرفت من أكون؟ بل إنك تعرف من أكون؟ شاعر يعني عاشق الجهول! أفسح الطريق ودعني أمراً!
الشاعر: لم أفهم شيئاً قط.

الصوت: أشرك لاستقبالك لي في غرفتك المتواضعة.

(الباب في انغلاقه أقرب إلى الصوت المكتوم)

الشاعر: ما بالك تسيّر وكأنك لا تلامس الأرض.. وما هذا الوشاح الحالك السواد المنسل من ذقتك حتى كعبك؟ وكأن قلب القلنسوة التي فوق رأسك فارغ. صوتك غريب، كما أن ضحكك تبدو غريبة. إن في صوتك صغيراً قادماً من جهنم. يبدو أنك جني من الجن؟
ذو الوشاح الأسود: أنا لست جنياً. وما الجن إلا خدم لي.. إنهم كواؤون لوشاحي.
الشاعر: إنك تخيفني!

ذو الوشاح الأسود: أتتحدث عن الخوف؟ باللعيب! دع الخوف لصغار العصافير والأفراس الصغيرة! هل الخوف من شيم الإنسان؟ هيا قف لأنني لا بد أن أجلس الآن على هذا الكرسي المكسور. أوه، إن أدراج خمسة طوابق أعبت ساقي وركبتي تماماً. أعرف مدى التعب الذي قاسته ركبتي؟ لقد قاست ما قاسته الدنيا منذ خلقت. (لحظة صمت، تعقبها قهقهة) يبدو أنك لا تدفع أجراً معقولاً، حتى أقت بك العجوز الشمطاء صاحبة النزل فوق هذا السطح. يالها من شمطاء. منذ لحظة قلبت صندوق الخبز الفارغ في المطبخ؛ فاستيقظت. وأدارت هذه العجوز الشمطاء مفتاح الكهرباء، وما أن فُلت ذلك حتى وجدت طبقة من الظلام وقد أضيفت إلى الظلام نفسه. ذلك لأنني كنت قد قطعت سلك التيار الكهربائي. وبينما أنا على ذلك، إذ بك أنت تنادي لتطلب منها شمعة. فقلت يجب أن أزورك في حجرتك أثناء اشتعال الشمعة. لأن ضوء الكهرباء مغرور أحمق، يظن أن قياس المسافات لا يكون إلا بالبرجل والمسطرة.
الشاعر: هل أنا في حلم؟

ذو الوشاح الأسود: لست في حلم. لأنك - إذا أردت - يمكنك أن ترى ما يمكن أن تحلم به، وما لا يمكن أن تحلم به. يمكنك أن تغربل حواسك الخمس، علمك، ذاكرتك، ذكرياتك، وموازيتك للأمور. هل تستطيع أن تفعل هذا في أي حلم؟ (قهقهة) أنت إذن في ذلك الحلم المسمى بالحياة؛ وهناك يحق للإنسان أن يراقب ما يحلم به وما لا يحلم به. (قهقهة).

الشاعر: أرحنى وقل لي من تكون!
ذو الوشاح الأسود: إذا كنت ستعبر آداب التعامل كل هذا الاهتمام، وإذا كان الفضول يسيطر عليك، ولديك رغبة لأن تكون مرموقاً في المجتمع، فلا تقدم لك نفسك!

الشاعر: قدم لي نفسك!
ذو الوشاح الأسود: أنا صديق والدك.
الشاعر: وأنا لم أتمكن من معرفة والدي.
ذو الوشاح الأسود: وهو أيضاً لو رأيته، لن يستطيع أن يتعرف علي.

الشاعر: كيف تقول إذن إنك صديق والدي؟
ذو الوشاح الأسود: إنها صداقة قديمة جداً. أقمتها مع والدك، ووالد والدك، ووالد هذا أيضاً، إنها صداقة ممتدة إلى الأب الأول. وبالمنعنى الأصح، إنها بدأت مع هذا الأول..
الشاعر: وكيف؟

ذو الوشاح الأسود: بل إنني كنت الوحيد الذي عصي أمراً قيل إنه صدر بالسجود لجذع الأكبر. ألم يلقنوك هذا؟
الشاعر: إنك الشيطان!!!

ذو الوشاح الأسود: الشيطان!!! الشيطان الرجيم الذي استعاضوا بالله من شره!!!
الشاعر: لقد تيقنت أنك الشيطان. أنت بنفسك، كنت تشبه شيئاً غير موجود في دنيانا.

ذو الوشاح الأسود: (مقهقهة) إذن ها هو ذا ما تفكرون فيه فيما يتعلق بالكائنات! تنفون وجود الشيء في نفس الوقت الذي تشبهونه فيه بشيء آخر. (قهقهة) ومع أنك لا تستطيعون تشبيه الله بشيء فإنكم تقولون بوجوده.

الشاعر: يا أيها الملعون الذي يتشع بالسواد! أفهم أنك جئت إلي لكي تفسد نظام البناء في روحي. فلتعلم إذن أنك لن تستطيع معي أمراً. لأنك لن تستطيع أن تزحزح حجراً واحداً في بناء الكون الذي في داخلي.

ذو الوشاح الأسود: انظر إلى يدي هاتين!

هائذا أمدهما نحو وجهك! هل ترى يدي؟
الشاعر: نعم أراهما! ماذا تريد؟
ذو الوشاح الأسود: ماذا تشبهان؟
الشاعر: تشبهان يدي امرأة لم أر مثلهما طوال حياتي.

ذو الوشاح الأسود: هل ترى أنهما جميلتان؟
الشاعر: هل هما جميلتان بالفعل أم لا، لا أدري. لكنهما مفزعتان! جميلتان بقدر ما هما مفزعتان! لا تقترب مني؛ وتكلم حيث أنت!

ذو الوشاح الأسود: إنهما اليدان اللتان أقامتا بناء الكون الذي بداخلك! وإذا أردت الآن استرجاع هندسة هذا الكون، ألن تعطيه لي؟ هل ستدافع أمامي وتستخدم الكذب الذي أقسمته على قلبك إقحاماً لكي أهدئك؟ (قهقهة) هل تعرف ماذا جال بخاطري؟ إنه ذلك الكلب الذي لا يعيد شيئاً إلى صاحبه، حتى قطعة اللحم التي أخذها منه!

الشاعر: أنا لم آخذ منك شيئاً قط. بل إنني أصون نفسي بكل ما فيها لكي أحميها منك.
ذو الوشاح الأسود: إنني أنا صاحب المشاعر والأحاسيس التي حجزتموها في أرواحكم جانباً، ادعيتم أنها حلوة وجميلة!

الشاعر: أنا لا أصدقك! إنك لو حرصت الإنسان ليستقيم في أمر ما، فلن يكون ذلك إلا لكي تدفع به إلى انحرافات هائلة. أنت ذلك المحتال الذي يرد قرشاً واحداً ديناً عليه لكي يسرق ألف قرش.

ذو الوشاح الأسود: شاعر مجنون، لقد أوقعك المتعصبون في حبالهم، كما يوقع معلم مدرسة القرية الأطفال في حباله، وهو يدير التفاحة التي في يده أمام ضوء الشمعة، ليقول إن الأرض تدور، وبذلك يخدعهم. أيها الشاعر الغبي، إنك تفترض أن من جاء ليفرقك بالذهب حتى حلقك عاشق للقرش الموهوم الذي في جيبيك؟

الشاعر: جئت لتغرقني بالذهب حتى حلقومي؟!

ذو الوشاح الأسود: بالطبع، جئت لأكون البلمس لفرقك المدقع.

الشاعر: لا أصدقك، أيها الساحر الذي يغلي الكذب في مرجه!

ذو الوشاح الأسود: اطلب كل شيء، اطلب أي شيء. فلقد جئت إليك لكي أرد إليك نصيبك

الذي حرمت منه!

الشاعر: لا تمسك بتلابيبي يا ساحر الظلام!
فأنا لا أطلب شيئاً قط؛ بل إنني لا أحمل في نفسي أي أمنية!

ذو الوشاح الأسود: ألا تتمنى شيئاً قط؟ إن الطمع قد أغرق معدتك في الصدا حتى أعرق أعماقك.. حذار، لا تقل يجب أن أزيل هذا الصدا؛ لأنه سيبتد، ويتشتر مثل الرماد. بل تتبد أنت وتذهب. عليك فقط أن تطلب، وتطلب.. فقد وصلت أنت إلى حالتيك البائسة هذه، لأنك لا تشبع من الطلب. والنجاة لن تكون إلا في الطلب، أو في الفناء والعدم، وتكون مثل بقعة تركتها حشرة على حائط. أنت تريد، وطلبائك لا تنتهي؛ فقد ولدت لتطلب. وسوف تموت بسبب عجزك عن إشباع نفسك بما تريد. وعندما تجد الواحد، تطلب الألف. ما قيمة الشيء الذي ترى أنه يأتي في المقام الأول بالنسبة لك؟ أنت تريد الشيء الذي لن يوجد، تريد المرأة التي لم تولد بعد، الجملة التي لم تعرفها اللغات بعد، الثروة التي لا تستوعبها الخزائن، والنفوذ الذي لم ينله أحد من العظماء من قبل. وكل هذا ليس بشيء قط.. أنت تريد المعرفة، والمصيبة هنا أنك تريد المعرفة.. من أدق ذرة في أبعد مادة، إلى أكثر الحركات غموضاً في أصغر إنسان. تريد معرفة القانون الذي يدير الأشياء والأحداث. إنك لا ترضى بأن تكون مجرد حلقة في سلسلة الإنسان الذي يساق سوقاً ورأسه (مطرق) أمامه. إنك تريد أن تمسك بأول حلقة في هذه السلسلة، وكذلك بأخر حلقة منها، وتوصل كل واحدة بالأخرى. والنتيجة: العدم.. فلن تستطيع عمل شيء. ذلك لأن المحدود الذي لم تستطع استيعابه، سيأخذك تحت جناحه في مواجهة هذا اللامحدود الذي لم يستطع المحدود استيعابه. أنت ترتبك في سيرك في حين أنك تتمنى الطيران. وبدلاً من أن تملّي إرادتك على الملوك، تجد نفسك وقد خضعت لجامعي القمامة. ها هي ذي الثروة التي لا تستوعبها الخزائن، قطعة الخبز الجافة المتروكة منذ ثلاثة أيام في درج الدولاب الصغير.. بل إن الأطفال الذين في الثالثة من عمرهم، يخجلون من الكلمات التي ركبها وسميتها جملة لم تعرفها اللغات.. وذلك الاتساع المصغر في ملاءة هذا السرير المتسخ، يشهد على أن الخيال الذي لم يستطع أن يحتفظ - ولو للحظة واحدة - بالمرأة التي لم تولد بعد على وجه الأرض، يتبخّر أمام المرأة العجوز التي تقطن في الطابق السفلي بجسمها المترهل.

الشاعر: أخرس، لستذهب إلى أعماق الأرض أيها الشيطان! أخرس، عليك لعنة الله، أخرس!
ذو الوشاح الأسود: إنك فنان بلا امرأة، بلا إنتاج، بلا مال، بلا شرف.. فكّر في أن كل إنسان يمتلك كل هذه الأشياء.. وأنت كنت ستزدي كل هذه الأشياء لو كان المال متوافراً لديك. وما دام المال ينقصك، فستظل شهوتك لهذه الأشياء قائمة. إنك تصف هؤلاء الذين يعقدون الموازنة بين رغباتهم ومكاسبهم، إنهم أقزام، وأنت ذلك العملاق خاوي البطن والروح، المحكوم عليه بالغيرة من قوت الأقزام. ماذا تبقى لديك بعد توازنك الخرب الذي استثمرت فيه ما يسمونه العبقريّة وكأنها بديل عن المال؟ فنان بلا امرأة، بلا إنتاج، بلا شرف..

الشاعر: شيطان رجيم! إذا كان الأمر كذلك، فلماذا اخترتني أنا من بين كل هذا العدد من الرجال الأسوياء؟

ذو الوشاح الأسود: (يقترّب ويبعد وكأنه يفرك أشياء بكلتا يديه) لأنه عندما ينتقل توازنك الخرب إلى يدي، سيولد منه أرفع نظام. ولا أحد يعرف هذا السر غيري. قوالب المجتمع لا يمكن أن تلامك. فهم يأخذون كلامك ليضعوه في كتب القراءة في المدارس، كما يأخذون عسل النحل، ومع ذلك فإنهم يودون لو أن يلقوا بشخصك من النافذة كما يطردون النحلة بآبرتها بمغشقة إلى الخارج. أنا فقط أعرف على أي أساس سيكون إعادة بناء روحك الخربة بعد أن يتم تجديدها في «ورشتي». لذا، اخترت أنت من بين الكثيرين من هؤلاء الناس الأسوياء.. سلم نفسك لي فتسيطر على كل شيء. السيطرة: هل تفهم هذه الكلمة، السيطرة.. السيطرة على نفسك، على كل البشر، على كل أنواع المعرفة، على كل شيء محسوس أو غير محسوس.. إذا كنت تريد الجلوس في مكان القلب من المجتمع مثل فص الخاتم، وإذا كنت تريد التألق والبريق، فسلم لي نفسك!

الشاعر: أنا لا أعرف في إطار الموجودات اليومية امتلاكاً أكبر من الحرمان. وكلما زادت قدرتي على تملكها، عمق حرمانني. وكلما عمق حرمانني، أجد لا شيء، وكل شيء. كل شيء يعني الله.. وفي إطار هذا تكون أنت، ويجب أن تنتهي أنت لأصل أنا إلى هدفي. كلما زاد اقترابك من النقص عدت للتزايد. لذا يجب أن الجأ إلى وضع العراقيل أمامك بعد أن تكون قد وصلت إلى أضعف حال، وأن أعرض صدري لنيرانك بعد أن تتييس من شدة الجفاف! بعد هذا بخطوة

واحدة يكون الخلاص.. وبعد خطوة من هذا اللاسقوط واللااحتراق يعني الثبات والنجاة. أعرف هذا ولكن لا أستطيع أن أخطو هذه الخطوة. ما الذي يعوقني لكي أخطوها؟ انظر، يجب أن أقول لك ماذا يحدث: إنني أعيش داخل برميل بارود! كل ذرة في أمعاء روحي متارة. يعلم الله مدى الألم الذي عانيت، ومن أجله. فأنا لا أريد كل الأشياء التي وعدتني بها رغم احتياجي إليها أكثر من أي إنسان آخر، ومن أي وقت آخر. لكن لا أريد! لا أريد شيئاً قط. أنا راض بما سأصير إليه من عدم تام، أن أكون نصف وجود. قراري الكامل هو تحملي للعذاب؛ مهما كان هذا العذاب؛ وإنني لفي انتظاره، وسانتظر اللحظة التي سيمد فيها يده إلي.

ذو الوشاح الأسود: أيها الشاعر المسكين، إنني سأبعدك عنه! فقد وجدته صعباً جداً، قاسياً جداً، لكنه بارع جداً، إن عقلك لا بد أن ينفجر مثلما تنفجر قشرة ثمرة الكستناء على النار. لا بد أن ينفجر مهما كانت قوة إدراكه، فليت عقلك قد انفجر! أو ليتني فجرته لك.. لولا أنك كنت أسرعت بوضعه في إطار من نظام يذكر بالبلاء الفني في شطرة بيت في قصيدة شعر.. يا أبه القوافي! إنك غير مستطيع الآن مهما أوتيت من قوة، أن تقتلع من عقلك، ذلك الكذب الذي اختلقته لك ودسسته عليك، ومع ذلك فانظر كيف أني سأبعد بينك وبينه!

الشاعر: إنك إبليس! من هو ذلك الذي ستباعد بينه وبينني؟ من هو، هيا أفصح لي عن اسمه!
ذو الوشاح الأسود: انتظر! سأطفي الشمعة ثم أحدثك.

(نفخة قوية - ظلام دامس)

صوت الشاعر: يا إلهي! اللهم احفظني!
صوت ذي الوشاح الأسود: هيا اصرخ. اصرخ! إن الجدران لجاهزة لرجع صوتك.. لكن لا تندم!

(صوت الكرسي وقد سقط على الأرض، يبدو كالصوت المكتوم، صوت الكتب وهي تسقط على الأرض محدثة ضجيجا)
صوت ذي الوشاح الأسود: أيها الشاعر المسكين، إن الكبريت في جيبك! فلا تتعب نفسك بحثاً عنه! إنني ذاهب، طابت ليلتك. وداعاً وتذكرني!

(ضوء الكبريت حاد - الظلام وقد تبدد - امرأة فوق السرير - لحظة صمت)
الشاعر: من أنت؟ كيف ومتى جئت هنا فوق سريرتي؟

المرأة: تعال، تعال إليّ!

الشاعر: أهو الذي أرسلك أم...؟

المرأة: وماذا يهمك من هذا؟ انظر إليّ، لا يلغني سوى هذه الغلالة السوداء.. ألا تخترق عينك غلاتي هذه؟ (لحظة سكون) هيا أيها الشاب الساذج، اقترب! لا تقف أمامي هكذا وأنت تلهث! انظر إلى يدي، كيف تراهما؟.. هل رأيت طوال عمرك يدين كهاتين اليتين؟

الشاعر: (كالمجنون) إنهما يدها!!

المرأة: يدا الخيال الذي يأتي لمواساتك كل ليلة.. تمنع في جسدي.. هأنذا قد لصقت غلاتي بكل تفاصيلي.. ألسنت أنا هي؟ هي، هي، الأنثى، خميرة الأنوثة.. هل ترى الانتظام الرائع الذي يمتد من صدري إلى أسفل مباشرة، ركبتي، ساقاي رسغي، قدمي؟.. هل وجدت تناغما في هذا الخط في أي امرأة في الدنيا؟.. هأنذا قد أحضرت لك تجسيد ذاك الخيال. تعال، إنني أسمح لك أن تمسك يدي!

الشاعر: ستدفعني إلى الجنون دفعا بكذبة هائلة، أرجع إلى شكك الحقيقي أيها الشيطان اللعين!!

المرأة: ما هذا الذي تقوله أيها الشاب الأحق؟.. ألم أقل لك تعال إلى جانبي وأمسك يدي؟.. ففي نفس اللحظة التي تمسك فيها بيدي، سيمتزج سر التلامس بدمك كأنه سم لذيذ.. ستشعر بتطل اللون الأزرق الشديد الزرقة، والبنفسجي الخالص، والأسود الحالك. في دمك القاني! ألن تأتي، إنك لمرهق! أرى أنني أعجبتك كثيرا.. أعجبتك لدرجة أنك لم تستطع التحرك من مكانك. إن قلبك يخفق بسرعة، حتى أنني أسمع خفقانه في جسدي مثل حشرة ديك مذبوح. رعشات القشعريرة تسري في مؤخرة عنقك نحو خصرك. وا أسفا عليك، أيها المراهق الساذج. يالك من مخلوق رقيق!!

الشاعر: اغربي عن فراشي، ارتدي ملابسك، استري نفسك، اذهبي!

المرأة: لا تخف مني.. قلت لك انني المرأة التي تحلم بها.. المرأة التي لم يدرك عقلها أي شيء سوى سحر الأنوثة.. المرأة ناقصة العقل.. المرأة التي تفوقت على الدهاء بسذاجتها المفرطة.. أتعرف كيف تجد القطط الأعشاب الدوائية لها في الحقول عندما تؤلمها رأسها، إنني أجدها الشيء الذي تحتاج إليه أعصابك المريضة، بنفس هذه الكيفية.

الشاعر: يا إلهي! المرأة التي بحثت عنها، تصف لي نفسها بكلماتي!

المرأة: إنني أصف لك نفسي، بلغتي أنا، يعني أن العمل الذي تقوم به أنت دائما، أحاكه أنا لمرة واحدة فقط.. وإلا فما حاجتي لوصف نفسي؟.. هأنذا، تفضل. (تنثني وتتلوى في الفراش بشكل مثير ومدهش.. لحظة صمت) عينك مصباحان احترقا، وأصبحا رمادا تحت تأثير سريان تيار كهربائي يفوق تحملهما.. انظر إلي، انظر بأحر بصيص نور في عينيك!.. هذه هي حساسية الإنسان؛ يدرك بعينه المغضتين الثاقبتين ما إذا كان ورق السجاجة التي بين أصبعيه، ورقة واحدة أم اثنتين.. لو كان في عينيك مقياس يعجز العلم والحساب عن الوصول إليه، فاعمل على أن تقيس أبعادك.

الشاعر: إنني أختلق!!

المرأة: أتخنتق؛ أتشعر بما أفرغته على مركز الاضطراب المفرط الحساسية الذي في عقلك مثل نقطة من الرصاص الذباب؛ إنك تكمل حقيقتي الكبرى في مركز الاضطراب، هذا المركز الشديد الحساسية الذي في عقلك. وهناك، يتحد كل شيء في شعري هذا الذي يشبه الدخان، عينا الطحلبتان، شفتاي المثلثتان الحمراء، وساقاي المتناغمتان تناغما يفوق أخلد الأغنيات، أنا، أنا..

الشاعر: استمري، أيتها الدنيئة المتعالة!! استمري في قبلك!!

المرأة: (قهقهة) أنت ذلك الساذج الذي من السهل أن يصل به خداع الكلمات إلى حالة التذكر لفن.. لقد قلت كل هذا عن عمد وقصد؛ لكي أظهر لك إفلاس الكلمات.. ولم أكن قبيحة لأنني أنا تلك المرأة التي لا يمكن أن تكون قبيحة!! وأنت دليلي على هذا.. يا لخداع الكلمات، إن هذه هي مسألة سحر!! السحر، يلعب في السكون والظلام، ها تعال!!

الشاعر: لن أت!

المرأة: بل ستأتي، إنك قادم، تعال!! (لحظة سكون) أمسك هذه الشمعة بيدك!! (لحظة سكون) إنك أت، ها أنت ذا أكثر رجال الدنيا سذاجة!! ألسنت رجلا مكتمل الرجولة!! تقدم! خطوة أخرى! خطوة أخرى!! (لحظة سكون) ارفع تلك الشمعة إلى أعلى؛ لينتشر الضوء على جسدي.. أسرع.. لا تسمح لجسدي بإثارة مزيد من الظلال!! قف، وسأقول لك شيئا! لماذا تسمرت تماما هكذا في مكانك!! أجب هل

تستطيع بأطراف أصابعك ونار شفتيك أن تراني في الظلمة الدامسة، نورا ساطعا؟

الشاعر: نعم

المرأة: إذا كان الأمر كذلك، فلتطفئ الشمعة!

الشاعر: أخاف أن أفقدك؟ سأتي إليك، هكذا..

المرأة: قف! إذا كنت لا تريد أن أتحوّل في لحظة إلى دخان وأطير، فلتقف لمدة ثانية واحدة! نعم بالضبط هكذا.. والآن أجب: ما رأيك إن صارت كل الكائنات وكل ما تمك في جانب، وأنا في الجانب الآخر؟..

الشاعر: لا أعرف، لا أستطيع أن أتكلّم! دعيني آتي إليك!

المرأة: إذا تقدمت خطوة أخرى، فسوف أنسل وأهرب منك كالطمع عندما ينتهي!

الشاعر: أيتها الساحرة، قللي، مري! هل أت؟ هل أهرب؟ هل أقف؟ هل أجري؟ قللي شيئا!

المرأة: لا تأت، لا تهرب، لا تقف، ولا تجر؛ فقط أجب عن هذا السؤال: الدنيا أم أنا؟..

الشاعر: لا أفهم هذا؛ إنني أدرك وكفى. هذا كل ما في الأمر!!

المرأة: أطفئ الشمعة، أطفئها بسرعة!!

(إطفاء الشمعة - ظلام - صوت خطوات - أنات الفراش - صفي - صوت الأنفاس)

صوت الشاعر: أين أنت؟ لا أستطيع أن أراك، هل أشعل الشمعة؟

صوت المرأة: إياك! وإلا فقدتني إلى الأبد!

صوت الشاعر: يدي تضيق في كل موضع ألمسه، إنني ساموت!

صوت المرأة: اصبر! ستشعر بماهية اللذة التي تختلف عما هو مفهوم في هذه الدنيا.. ألم تقبل امرأة أبدا في الحلم؟ ألم تسقط في بحر التقبيل قط أثناء حلمك؟

صوت الشاعر: أنا على وشك الجنون؛ قللي، أين أنت؟

صوت المرأة: بإجابة واحدة..

صوت الشاعر: ما هي؟

صوت المرأة: العدم.. داخل كل شيء فراغ.. وهم.. وهم.. عمق السموات، ركن الزمان، مركز الدائرة.. وهم وهم..

صوت الشاعر: وهل أنت أيضا وهم؟.. أقول لك تعال!!

صوت المرأة: كل شيء عداي وهم.. قل هذا لي..

صوت الشاعر: كل شيء عداك وهم..
صوت المرأة: قَرَّبَ فمك إلى شفتي! نعم!.. هل
تشعر بشفتي والنار الصادرة منهما؟
صوت الشاعر: نعم أشعر!
صوت المرأة: قل، أيها الأبله، حقيقتي أنا، أم
وهمه هو؟..

صوت الشاعر: وَهْمُكَ أنت.. وهم كل شيء..
حقيقته هو.. حقيقته هو فقط..
صوت المرأة: (قهقهة جوفاء) إنك تُعَصِّرُ
كتفي، احذر، ستطحن أسنانك!..

(قهقهة - صرير السرير الحديدي -
الكبريت مشتعل - الفراش مبعثر تماما وخال
تماما. في طرف الحجرة خيال أحذب -
الشاعر منحني يشعل الشمعة التي على
الأرض، وعندما يرفع رأسه يرى خيالا له
لحية مدببة الطرف، وذقن حادة، وأنف
مدبب، ورأس مدبب، وظاهر محدودب، وفوقه
وشاح أسود، وفي يده حقيبة سوداء).

الشاعر: أمرك يا سيادة السفير؟..
الأحذب: إني مُكَلَّفٌ بعقد صفقة معك!
الشاعر: مثل ماذا يا سيدي؟

الأحذب: بصراحة تامة، وبدون مقدمات،
وبدون تحايل، وبدون مزاح، مساومة صريحة.
الشاعر: وكيف؟..

الأحذب: أنت يا أكثر أهل المدينة إفلاسا، أي
تضحية تلك التي تراها تعادل ثمن شراء المدينة
كلها؟..

الشاعر: (الشمعة في يده - يقف على
قدميه - ويرتب بيده الأخرى شعره المشعث)
هيا نتحدث بصراحة أكثر!.. تَقْصُصُ الآن ما
شئت من الشخصيات، وتقول بالقلب الذي
تريده، فلن تستطيع خداعي!.. فأنت هو أنت!
أليس كذلك! طريد الله؟.. تظهر لي الآن في
صورة يهودي أحذب!.. ماذا يعني وضعك هذا؟..
الأحذب: افترض ما شاء لك الافتراض! فعقلي
لا يدرك الأحاديث الطوال.. الكلمة عندي أداة
تنفيذ لعمل بسير.. وهي عندي ليست أداة لرسم
لوحات تفتقد المعنى والمنطق والنسبية مثلما
يفعل الشعراء.. ولا جدوى من التفكير فيمن
أكون أو ماذا أكون.. فقد جئت إلى هنا لعقد
صفقة صريحة معك! سأطلب منك شيئا
وسأدفع ثمنه.. عليك فقط أن تقول لي هل تقبل
أو لا تقبل!..

الشاعر: (يمد الشمعة التي في يده صوب
وجه الأحذب) من أين أتيت بهذه الرقعة
المضحكة؟.. ألم تكن حتى هذه اللحظة نتكلم

بالشكل المعتاد؟..
الأحذب: لم تَرُدَّ عليّ بعد؟.. أريد شيئا وأدفع
مقابله من النقود! (يدخل يديه فجأة في جيبه،
ويخرجهما وقد امتلأتا بالماس ويمدهما أمام
عيني الشاعر) تقض! ملء الكفين ماس! انظر،
كم هو بَرَّاق ولامع!.. في داخل كل واحدة منها
آلاف من براعات النار تحترق..

الشاعر: (وعيناه على يدي الأحذب) إنهما
يдах! يدا الشيطان، ويذا المرأة! يَغَيِّرُ كل جزء فيه
ولا يغير يديه!..

الأحذب: لا تنظر إلى يدي! إنهما مستعارتان.
يदाي الأصليتان مقطوعتان من المعصم.. انظر
إلى الماس!.. الماس!..

الشاعر: ماذا تريد مني مقابل هذا الماس، وقد
وصفتني بقولك إنني أكبر مفلس في العالم؟
الأحذب: روحك!!!

الشاعر: لو أنني عرضت روحي للبيع في
سوق الأشياء المستعملة فلن أجد من يشتريها،
لن أجد من يدفع فيها نقودا تكفي احتياجات
طفل غريب!

الأحذب: أما بالنسبة لي، فأنا مستعد لأن
أدفع فيها نقودا يمكن أن تشتري الدنيا كلها!
الشاعر: لماذا؟

الأحذب: (يدخل الماس إلى جيبه) إنه سر
المهنة! إنها مسألة لا تخصك.. أتقبل أم لا؟
الشاعر: روحي، روحي أنا، أهى قميص يجب
أن أخلعه لكي أعطيه لك؟

الأحذب: إن خلعتها أسهل من خلع قميصك
وإعطائي.. ل.. إنني أريد الإيمان الذي يحتويك
مثلا يحتويك هذا القميص!.. وبأي ثمن تراه.

الشاعر: وهل هناك ما يعادله؟
الأحذب: هناك بالطبع ما يعادله. إن كمية
القمح مثلا لها ثمن، وهذا الثمن المقابل هو
السبب الوحيد لاستمرار هذيانك أربعا وعشرين
ساعة في اليوم. وعلى هذا أقلن يكون لهذيانك
هذا ثمن، يعني: مقابل؟.. المال هو المقياس
الحقيقي والوحيد للإنسان في الدنيا. إنه المقياس
الذي يعتمد عليه الناس، ويروونه، ويسمعونه،
ويشمنونه، ويتذوقونه، ويحسونه. نعم، فمهما
كانت قيمة ما تنطق به روحك، وما تحس به،
فإنها تتركز في المال، وهو المقاس الرائع الذي
يضع كل شيء من هذا في موضعه، بل وهو
الذي يجسد المقياس الذي ما بعده مقياس..

الشاعر: (الشمعة في يده - يزيح بيده
الأخرى إلى السوراء شعره المشعث على
الجانبين) عليك اللعنة! يا إبليس..

الأحذب: (وهو يلتوي التواء ثعبانية)
توقف، يجب أن أخاطبك بلغتك الحمقاء! المال:
النقود، ولكنها ليست أوراق النقدية تلك التي
تعرفها والتي أكل عليها الدهر وشرب. وليست
أيضا قطع المعدن ذات البريق الوهاج وهج
الشمس ولها استدارة القمر.. فكل هذا لواحق
لها.. لكنه المال.. النقود، إنها فوق كل هذا، فيها
علاقة خافية ومجردة. وهي مقياس وحيد.. إنها
ذلك الوجود المطلق الذي بحثت عنه عبثا!..
الشاعر: فليعنك الله!

الأحذب: ومن هو ذاك أيضا؟ أنا لا أعرفه!
لنرجع نحن إلى مسألة النقود! تلك القطعة
الورقية التي اختلط عليها توقيع الوزير، وقبلة
المتلقي، ووحل حفر القبور، ومساحيق وجه
البغي، ومكواة الصراف، والتواء الجاسوس،
ونفس مقيم الصلاة، وعرق الأجير، ورمز الأمة،
ولوث المستول، ودم الشهيد، وبصاق السكر،
وخدش ظفر القاتل، وصمغ حاجب المحكمة،
وتلك النقود عليك أن تترجم للمستبد سطوته،
وللثائر وسيلته، وللأب رحمته، وللطفل طاعته،
وللحاكم مهابته، وللكاذب شهادته، وللغدائي
تضحيته، وللمرابي نفوره، وللعالم حكمته،
وللمريض علته، وللرئيس هيئته، وللتعيس
انطواءه، فصدقة الصديق، وخيانة الخائن،
وجنة الزاهد، وذلة المحتاج، وقوة الجيش،
وشهوة الشيخ الفاني، وطلاقة لسان نائب
البرلمان، ووصية الميت، وأمانة الوطن، وسفالة
الكلام، وكفارة الذنب، وحقيقة الدنيا.. إنها
النقود التي تحتوي كل هذا.. ها هي ذي النقود
التي تملأ فراغ كل بناء مادي ومعنوي، كل بناء،
وهي الجنى الذي يتصاعد كالدخان من كل منفذ،
هي الجنى الكبير..

الشاعر: أأنت؟ أأنت رجل الأعمال الصريح؟
الأحذب: يكفي الآن، يكفي هذا القدر من
المعاناة! انظر، كيف أن كل مكونات المادية
والمعنوية تتبدد أمام حقيقة المال، مثل الفقاعة؟
كفى، إنه نهم خبز الوهم الذي ملأت به بطونك
الخاوية مع الأسف! والأكثر من هذا، ما حدث
هذا الصباح، ذلك الأحمق الذي طلبت منه أن
يُقرضك عشر ليرات، بعد أن ظل يعاني من
سماع خطبك الحماسية عن ثورة المجتمع والفن،
ألم يضربك بالخنجر الذي في ابتسامته؟ وقبل
أربعة أيام جعلك مديرك في الإدارة الخاصة، ذو
الوجه العيوس، تنتظره بضع ساعات أمام
درازين السلم الحديدي في الممر، وأنت ترجوه
لكي يعيرك انتباهه للحظة. ترى بماذا سيصدر

تركيبات اللغة، المعروفة مسبقاً، والموجودة من قبل، والمحدودة، مسألة غير ممكنة؟! ألم تدرك بعد وأنت مشدود أن كل شيء بدءاً من هذيان راع قبل الآن بعشرة آلاف سنة، وصولاً إلى طريقة التفكير المطروحة على الورق لأي مهندس بعد ذلك بعشرة آلاف سنة، أنها كلها تقع داخل هذه الدائرة؟! هذه الدائرة المسحورة؟! هذه الحقيقة التي غرستها في حفرة دماغك مثل بلية مسمومة. هذه الحقيقة فقط هي الجدار الذي يحيط بك ولا يمكن تخطيه. الحدود التي يستحيل اختراقها، وأنت مكثف بإثبات عدم الذي وراءها. هب أنك وجدت الطريق إلى أفق مفتوح بإطراد إلى خلود سقط حجابك.. إلى بلاد الحقيقة المطلقة التي وراءه.. ترى كيف تكون، كيف؟! كيف تنقلب المذنة فجأة إلى النقيض لتصبح بئراً؟

الشاعر: إنني أعرفه واحداً أحداً. إلهي واحد. **الهيكل العظمي:** لفتك بعد ذلك وهم المكان. لماذا يصبح الرجل الذي يتقدم مسافة عشرة أمتار، صغيراً بحجم إبهامك؟ هل المسافة هي التي جعلته صغيراً، أم مرض النسبة الذي في دماغك العنكبوتي؟ مع أنه إذا اتبعنا مقياس حقيقة لا تعرف أصل الأشخاص، نجد أنفسنا أمام سؤال: ترى هل يكون كل شخص وكل شيء تبعاً لذاته، أم تبعاً لموقع كل واحد من الآخر؟! أي من هذين المقياسين هو الصحيح؟! الصحيح أن الخوف الذي أوجد وهم المكان والمسافة، يكون عادة أكثر رغبة من سم العقرب المرعب.. مديك.. مذهباً. انبش بأظفارك في رمال مجمرة السموات قبيل الصباح وابحث عن شرارة نجم لتشعل سيجارتك.. وأديت الأمر بحذر، وقفزت من هذا الهزال إلى جسم نادر.. قوي.. كامل.

الشاعر: ماذا تريد أن تنزل بي بعد الألم والسحر والموت والجنون؟ أخرس ولا تقل. إنك يجب أن تقول كلمة أخرى

الهيكل العظمي: ها هي تلك الكلمة! لقد طرقت رأسك بمطرقة الزمان. رأسك الذي عبر إلى ما وراء الموت والجنون.. طرقتها. ماذا كانت آخر كلمة قتلتها؟! طرقتها، أليس كذلك؟! أين الزمن الذي احتوانا أثناء نطق هذه الكلمة؟! لقد طار ومضى، وسقط ليس كذلك؟

الشاعر: (يستدير كالصاعقة، ويمسك الكرسي الموجود في أحد الأركان ويرفعه إلى أعلى بكلتا يديه) اسكت إذا كنت لا تريد أن أسحق عظامك.. أخرس!

الهيكل العظمي: (في أعماق سكون وحزن) ها هو ذا الزمان الذي رفعت فيه هذا الكرسي وقلت فيه أخرس. لقد طار هو الآخر. مضى، انتهى، سقط. أيها الشاعر، دعك من نباح الكلاب هذا، وتعال بجانبني!.. اسند رأسك الذي أحرقه النار، على دماغى البارد كالتلج، ولنفكر معا ونتشاور في أمر الزمن!.. إنه بشر البستان الذي لا قرار له والذي غمست فيه أقدامك الفارغة حتى وصلت إلى قراره، ثم سحبت أقدامك من قراره، فإذا هي فارغة!.. لنفكر في أمر الزمن، الزمن!..

الشاعر: (ينزل الكرسي إلى الأرض ببطء، بينما الدموع تنهمر من عينيه) ارحمني. أو اربط عيني بمندبل الموت. أو غطني بلحاف الجنون! لكن لا تلق بي في هذا الجب!

الهيكل العظمي: فكر.. الزمن الذي عجز عن أن يعلق بضربة حربة واحدة لا حدود لسرعتها، فيما بين طرف له برجل غير ممتناه في دقته وحذته بصورة لا يمكن أن ينتجها أي خيال، وبين الماثلة.. هذا الزمن سرعان ما أطاح بالبرجل على الأرض. وطار الزمن، ومضى وسقط. كلا، كلا، كلا. إنه ليس ضمن أي مقياس من مقياس القرن، والشهر، والأسبوع، واليوم، والساعة، والدقيقة، والثانية... والثالثة.. يمكن أن يكون هناك هواء مكعب ومتجمد داخل ناقوس زجاجي.. يمكن أن يكون هناك شعر الميت فوق رأس مومياء مَحْنَطَة قبل ثلاثة آلاف سنة؛ لكن لا يمكن أن يكون هناك ذلك الزمن الذي كان قبل ثانية واحدة.. خطأ مرسوماً بنقاط وهم عدم فقط. فوق هذا الخط، الإنسان، والمجتمع، والحرب، والمبدأ، والفكر، والإيمان، وتحت أكثر ازدهاماً من فوقه، وفوقه تراب أكثر حركة مما تحته.

(لحظة سكون. الشاعر وقد أحنى رأسه إلى الأمام، يهتز وهو يبكي بنشيج)

الهيكل العظمي: انفجرت عينك وسقط أحد إنساني عينيك فوق ورق النشاف، وانتشر مثل نقطة الحبر. وبحث عن مكان في الدنيا يشبه الشرفة لتلقي بنفسك إلى الفراغ، وتنهار الذروة والسفح بسرعة الضوء.. ووقفت. حسن، حسن. هل أخرجتكم «من، وماذا، وكيف؟» من هذا عدم، ومن الشتات، إلى الوجود الكامل، واليقين، والوحدانية؟

الشاعر: الله!! كل شيء على هذا النسق أصبح عدماً، وبقي هو وحده!

الهيكل العظمي: (يمد كلتا يديه بأصابعهما

المتفرقة، ناحية الشاعر) لا، لا، لا أريد هذه الكلمة!.. لقد جئت لك الآن بأفطع أفكار الوهم واليقين. في جيب هذا المعطف، داخل زجاجة.. إذا لم ترغب في أن أفتح غطاء هذه الزجاجة، فلا تستخدم هذه الكلمة مرة أخرى، لا تستخدمها مرة أخرى!.. عندئذ أتفاوض معك على مائدة الصلح الفخمة.. تأخذ الزجاجة الثانية التي في جيب معطفي!.. إنها أكسير السلطة والجاه. **الشاعر:** أُنْتَظَرُ الخلاص من يدك أنت؟! ها هو ذا الزمن الطائر، الماضي، الساقط، إنه هو.

الهيكل العظمي: تخيل: رجلاً له قلب وعقل أشد صلابة وأكثر بريقاً من الماس. تخيل: الزمن والمكان وكل شيء مربوط بحلقة في رقبته، ومربوط بوتر واحد! تخيل: تأسيس سطوتك وذاتك، والوصول إلى درجة تسلية خالدة.. وعند الموت، تخيل الوصول إلى عدم، لم يسبق مناقشة عدم فيه. إلى تلك الراحة الكبرى. عدم الخوف من الموت أبداً، يعني عدم الموت أبداً. لكن تأسيس الجاه والسلطة وأنت على قيد الحياة. وتصور إعطاء نفقة شعر إلى ملايين البشر، والتفرج على أحجار القمر من خلال عيون برونزية لتمثال في أكبر ميادين المدينة. في منتصف الليل بينما المدينة نائمة..

الشاعر: لا، لا! **الهيكل العظمي:** (وهو يمد الشمعدان الذي في يده) خذ تلك الشمعة. **الشاعر:** (متوجساً وخائفاً) ماذا يحدث إذا أخذتها؟

الهيكل العظمي: لا شيء!.. سأريك شيئاً! (ياخذ الشاعر الشمعدان بطريقة خائفة – يخرج الهيكل العظمي من جيب معطفه زجاجتين صغيرتين).

الهيكل العظمي: (وهو يشير إلى إحدى الزجاجتين) انظر، ها هو ذا أكسير السلطة والجاه. تذوقه مرة واحدة، تذوقه وامتلأ الدنيا! لم يبق في الدنيا عجزت عن أن أدنيقه من هذا الأكسير على طول الخيط المفكوك من بكرة الزمان، أعني: الرجال الذين يصبحون عظماء بعد ذلك.

الشاعر: لا أريد. **الهيكل العظمي:** ألا تريد؟!.. هل أنت غريب عن الانفعال بروعة النظام الذي يحسه كل الناس بما فيهم أطفال الحي الصغار أثناء مرور المجموعات العسكرية في الشارع، وقد تقدمها عازفو البوق والطبل، يعزفون أنغاماً موسيقية مستوحاة من البرق، في نظام رتيب!.. ألا تريد

أن يصبح هذا النظام منشورا تحت أقدام أنانيتك الهائلة، على امتداد وطن بأكمله، مثل بساط من الحرير؟.. سأجعل هذا المجتمع الضخم، كتلة من الخشب، وسألقي بها بين ذراعيك، وستنحتها كيفما تشاء؛ ستنحتها وتتحول إلى نشارة أخشاب بالاكتشافات المستمرة التي يقوم بها عقلك المتجلط. عقلت هذا مجرة الجنون والطمع. وتثير ضحك المضطربين المتسكعين في الحانات؛ ألا تريد هذا؟.. أجب، ألا تريد أن تتحول جثة المجتمع العارية تماما، والتي سأودعها ورشة تجديد الإرادة وتخرج منها عذراء مخدرة بالأفيون؟.. ألا تريد فتح جمعتها مثل طبيب مجنون لكنه منقذ... عصر معها مثل الخميرة بيد من حرير. فك أعصابها من المواضع التي تريدها، ثم ربطها من المواضع التي تريدها، وتستبدل أنت بأعضائها معادن جديدة تماما، وبأوتارها عصا جديدا تماما، وينسجها نسجا جديدا تماما. وتقطير أصل الشمس اللامعة وعلى طرف قلم متناه في دقته كالشعرة، زيت الحياة، على دقات الساعة التي في قلبها الذهبي.. و.. والقول لها.. «ها، انهضي!»، «انهضي واستوي، تمطي، افركي عينيك، تنفسي، دوسي بقدميك الأرض المستوية استواء خصلات شعرك، وكوني عاشقة لي! «ألا تريد هذا؟.. كوني عاشقة لي وافردي شعرك الذهبي في طريقي مثل البساط لامشي فوقه.. أما زلت لا تريد؟»

الشاعر: يا مهرج.. يا بهلوان لعبة الفناء.. يا ساحر العدم.. لا أريد.. لا أريد، أستعيذ بالله منك، أستعيذ بالله.. الله.. الله..

الهيكل العظمي: نفس الكلمة مرة أخرى؟!!!

(يدخل إلى جيبه إحدى الزجاجتين اللتين في يديه، ويمد يده بالأخرى) إذا كان الأمر كذلك، فخذ الزجاجاة الثانية!.. (يضع يده على غطاء الزجاجاة) في نفس اللحظة التي أرفع فيها هذا الغطاء، فإن ما بداخل الزجاجاة سيهاجم العثة التي في عقلك، وكل وهم الدنيا، عثة اليقين والشك، وسوف تحترق أنت وتنتهي، وتهدم ذرة تلو ذرة، وستبقى منك فقط ذرتك الوحيدة. وعندما يتجمع ضوء العدسات المكبرة، ويتركز في نقطة واحدة، فإن هذه الذرة ستختص بالصراخ والعواء والإحساس بالآلم (وبحركة تقربه من الشاعر أكثر، ممسكا بالزجاجاة من أسفل بإحدى يديه، وبغطائها باليد الأخرى) أفصح بسرعة، ساعد! واحدا، اثنين ثلاثة، واحد: نعم أم لا؟

الشاعر: (وهو خائف) على أي شيء أقول

نعم أم لا؟

الهيكل العظمي: على تسليم روحك لي.. اثنان: نعم أم لا؟..

الشاعر: لحظة.. هل تمسك الشمعدان للحظة؟ **الهيكل العظمي:** هاته!

(يمد الشاعر الشمعدان الذي في يده إلى الهيكل العظمي، يتناول الهيكل العظمي بيده اليسرى بينما الزجاجاة في يده اليمنى يجري الشاعر في قفزة واحدة إلى جوار الدولاب الصغير. يفتح الدرج بسرعة خاطفة. ويدخل الدرج يلف شيئا مخيا ويغطيه)

الهيكل العظمي: (استعت حفرتا عينيه أكثر من ذي قبل، وبصيحة مخيفة يطلقها على الشاعر) مجنون!! دعك من هذا أو اتركه جانبا. (يلف الشاعر الشيء المخبأ الذي أخرجه من الدرج لفة أخرى، وبينما يهم بالتحرك كما لو كان يريد العودة إلى الهيكل العظمي، ومعه ذلك الشيء، إذ بالهيكل العظمي قد نفخ الشمعة نفخة حادة، وأطفأها)

صوت الشاعر: (منطلقا من قلب الظلام) أيها الشيطان، خذ! يا إلهي، ماذا يحدث لي؟ (لحظة سکون)

صوت الشاعر: يا إلهي، إني محتاج إليك. لا تتركني!

صوت الشيطان: (من بعيد وبنبهة وقورة) أنت محتاج إليه.. ما!!

صوت الشاعر: هو فقط حاجتي.. إنه موجود في أفق ومنتهى وغاية وقلب مخاوفي، وأطماعي، وقلقي، وشكوكي.. (لحظة سکون. صوت وقع أقدام ثقيلة)

صوت الشيطان: (أكثر قربا من ذي قبل) هو، دائما هو.. كف صوتك.

صوت الشاعر: مجتمعي هو هندسة الدوائر المرسومة في كل نقطة حول مركزه.. نظامي هو مقياس كفيته التي لا تعد ولا ترى بالعين.

صوت الشيطان: (وقد أصبح قريبا منه تماما) لقد كسرت يداي، وكأنا ستقدما لك كل ما تريد.

صوت الشاعر: إنك لا تستطيع أن تعطيني شيئا أبدا.. لقد وجدت الله من شدة جوعي وليس من شعبي تحت كل إناء زيتته لي، يوجد العدم، الكم، الزيد، العدد، البريق، الحدود.. وأنا أريد غير الحدود.. إني لا أشبع.. إني جائع..

محروم من أجله.. ولأنني محروم، فإنني أملك كل شيء.. أريد الخلود.. سعادتي في الانشودة الواحدة، في النغمة الفريدة، في الصراع الفريد، وأنت لا تستطيع أن تقدم لي ما أريد. أنت سلطان عجزك؛ عجزك الذي أعطاك كل عزاء السلطة والجاء، وليس قوتك.. أنت لعبة.. وأنا أحتاج المحرك الذي يفرز شريط الزمن، وليست اللعبة هي ما أحتاج.

صوت الشيطان: (بمنتهى الوقار، وبنبهة تتباعد باستقار) بشرط أن تترك هذا الذي في يدك، وانظر ماذا سأقول. **صوت الشاعر:** لن أتركه.

صوت الشيطان: (من بعد متناه، وهو يتلأش) لقد كسرت يداي به.. إنه ميراث الثروة المقلسة التي اختزنتها جدتك الميتة ووضعتها تحت وسادتها.. ألا تشعر بالخجل وأنت تؤمن بهذه الأوراق.

(لحظة سکون. عود الثقاب الذي أشعله الشاعر. ومضة بريق ضوء للحظة.. يبدو ذو الوشاح الأسود من ظهره أمام الباب بيديه المكسورتين المتدليتين من المعصمين، وقد التوتا ناحية اليمين والشمال. يخرج ذو الوشاح الأسود من الباب)

الشاعر: (في يده اليمنى كتاب ملفوف داخل منديل، وفي يده اليسرى عود الثقاب على وشك الانتهاء) يا أيها الميراث الذي وجدته تحت وسادة جدتي الميتة!! إنك لن تنفد.. ولن تنتهي!

(ينتهي عود الثقاب. ظلام. نحيب عميق).

(ستار)

* رائد الأدب الإسلامي المعاصر في تركيا.

* يشير الكاتب هنا إلى القرآن الكريم.

■ د. ماجدة مخلوف: كاتبة ومترجمة مصرية، حصلت على الدكتوراه من جامعة عين شمس بالقاهرة. لها ترجمات من اللغة التركية إلى العربية، منها رواية «ملكة النحل» للاديب الأستاذ علي نار، رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في تركيا.